تعنيف الغرباء في شعر الغزل العذري في العصر الأموي

رسل علي كاظم خلف
قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة ذي قار- العراق , yttuiu03@gmail.com
أ. د عباس جخيور سدخان
قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة ذي قار- العراق , arabbasc@gmail.com

الملخص

هناك علاقة متينة ومترابطة بين النص الأدبي والحالة النفسية للشاعر، وللشعر دواع تحث البطيء وتبحث المتكلف، منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشعر، ومنها الطرب، ومنها الغصب، فعند عودتنا الى انتاج الشعراء نرى أن هناك بواعث كانت السبب في حث الشعراء على القول الشعري، وكلما كان اشعر معبراً عن خلجات الشاعر كان ابدع وأروع ، فحرقة الشوق وألم الفراق هما اللذان انتجا لنا القصائد العذرية، التي كان الجانب النفسي فيها اكبر أوضح وتأثيرها على الشاعر وما يصدر من عنف تجاه نفسيته وهذا ما نجده واضحًا في انتاجه الشعري.

الكلمات المفتاحية : تعنيف الغرباء- الغزل العذري- العصر الاموي

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

Violence of Strangers in the Poetry of Platonic love in the Umayyad Era

Rusel Ali Kadhim Kahlaf
Department of Arabic Language - College of Education for Humanities - University of Thi Qar – Iraq , yttuiu03@gmail.com
Dr. Abbas Chekaywer Sadkahn
Department of Arabic Language - College of Education for Humanities - University of Thi Qar – Iraq , arabbasc@gmail.com

Abstract

There is a strong and interconnected relationship between the literary text and the psychological state of the poet. Poetry has motives that urge slowness and search for the affective, including greed, longing, poetry, ecstasy, and anger. When we return to the production of poets, we see that there are motives that were the reason for urging poets to say poetry, and the more expressive the poet's feelings were, the more creative and wonderful "the burning of longing and the pain of separation are what produced for us the Platonic poems," in which the psychological aspect was the most obvious and its effect on the poet and the violence that was issued towards his psyche, and this is what we find clear in his poetic production.

Keywords: Stranger Violence - Platonic Love - Umayyad Era

Author: Rusel Ali Kadhim Kahlaf
Email: yttuiu03@gmail.com

المقدمة

إن للمجتمع الأثر الأغلب أو الأعم في نتاج شعر العذريين، فهو السبب عما يجيش في أنفسهم من مشاعر الألم والحزن والكبت، فقساوة (المجتمع) سببًا في حرمانهم من محبوباتهم[1].

فالعنف ظاهرة تثير القلق للفرد والمجتمع، فهو من الناحية النفسية السلوك الذي يتسم بالقسوة والشدة والاكراه، اذ تتسم فيه الدوافع العدائية النفسية كتحطيم الشخصية وإيذائها حتى يصل الحد للضرب او التقتيل وتحطيم الممتلكات[2].

أما من ناحية الجانب الاجتماعي "فهو الإيذاء باليد او اللسان او بالفعل أو بالكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر، وهو سلوك إيذائي، قوامه إنكار الآخر واستبعاده عن حلبة التغالب، أما بخفضه، واما بنفيه خارج الساحة وإما بتصفيته معنويًا أو جسديًا"[3].

ولو أمعنا النظر في ألفاظ الغزل في الشعر العربي بصورة عامة والغزل العذري بصورة خاصة نجدها تعكس أثر البيئة القاسية التي تهيمن عليها روح التعصب والبداوة في احتواء هذا الغزل لثلاثة عصور متتالية (جاهلي، اسلامي، أموي).

كما أن أكثر أشعار العذريين حديث يصف ما في انفسهم تجاه المحبوبة، يكشف ما في نفس المحبوب تجاه محبوبته، يشتكي وليس أنه يتحدث إليها هي، ولا يكاد الشاعر العذري يعرض مجال المحبوبة فهو لا يتطرق لذلك وإذا ألم بذلك أدخل فقط الشيء .

يتصف هذا الشعر بالتعبير الصادق عن الاحساس العميق بالحب ولوعته وصدق العواطف ونبلها وألم الحب وحرقته وما يؤثر في العذري نفسيًا، والاخلاص في الحب للمحبوبة، وهذا ما يتسم به الغزل العذري في العصر الأموي .

تعنيف الغرباء في شعر الغزل العذري

إنّ المعاناة والألم الدفينين اللذان كان يشعر بهما شعراء الغزل العذري، هما اللذان أوحيا اليهما بكتابة اعذب الأشعار وأرقها، إذ لا شيء كالألم يطهر النفوس من الشوائب العالقة بها ويعيد الى القلوب المعذبة الهرمة سعادتها وشبابها.

فهذا شعر عروة بن حزام يحكي قصة حبه لأبنة عمه عفراء[4]، فهو يشتمل على أكثر ملامح الباعث النفسي في شعر العذريين، اذ أن قصة عشقه هي الاطار العام الذي دارت حوله أغلب قصص الشعراء العذريين، اذ نلاحظه كيف يخاطب واشيين ما يزالان يتعقبانه في كل مكان بقوله[5]:

أغرّكما منّي قميص لبستـــــــــــهُ

جديدًا وبردًا يمنه زهيـــــــــــان

متى ترفقعا عنّي القميص تبينـــــــــا

بي الضرّ من عفراء، يا فتيـــان

وتعترفا لحمًا قليلا وأعظمـــــــــــا

اقاتا وقلبًا دائم الخفقـــــــــــــان

فهو هنا يبين الفرق بين ما يراه الناس من ارتدائه لقميص جديد، بينما جسمه هزيل متعب، وهذا ما لا يراه الناس، وكثيرًا ما كان شاعر الغزل العذري في العصر الأموي يصف نحول جسمه وتعبه النفسي والجسدي ؛ وذلك بسبب المجتمع ونطاق القبيلة الذي يضطر الشاعر أن يخفي حبه فيكون جسمه خاوي نتيجة التعب النفسي[6].

فيتبين لنا كيف ان مجنون ليلى في الذهول والاستكانة من عنف الاهل، وكيف حجبوا ليلى عنه وهم شديدي القوة، ولا يمكن التعايش معهم فيقول[7]:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرهـــــــا

علي يمينا جاهدًا لا أزورهـــــا

وأوعدني فيها رجال أبرّهـــــــــــــم

أبي وأبوها خشنت لي حدورها

وهنا العذريون يحاولون ان يبدوا اعتراضهم على عنف المجتمع وجزعهم من القيم الاجتماعية، فهم يفقدون التواصل معه ولا يستطيعون التعايش معه، لذلك يصف المحبون عجزهم وخوفهم من الوصول الى محبوباتهم وتفجيعهم فيبلغ الأذى النفسي لديهم مرحلة كبيرة، فضلاً عن العجز والحزن الذي دفع الشاعر الى خلق حياة مختلفة خاصة به، اذ يعيش مع خالقه وشعره ومحبوبته عالم هو يخلقه من مجموعة كلمات ينظمها، اذ لا وجود لضيق المجتمع وعنفه، فيقول جميل بثينة[8]:

فواحسرتاه إن حيل بيني وبينها

ويا حين نفسي، كيف فيك تحينُ

شهدتْ بأنّي لم تخير مودتـــــي

وأنّي بكم، حتى الممات ضنـــــينُ

ايضًا نجد أن عنف المجتمع تجاه الشاعر فرض عليه الانعزال مما أدى الى اتهامه بفقدان العقل والشاعر لا يتحرج أو يستشعر من هذا الاتهام، إنما يفتخر به ويفتخر بتشبيهه بفاقدي العقل، فيقول جميل كذلك[9]:

يقولون مسحور يحن لذكرها

فاقسم ما بي من جنون ولا سحر

ويقول كذلك في عدم تحرجه من اتهامه بفقدان العقل[10]:

أكلّم صورة في الترب منهـــا

كأنّ الترب مستمع خطابـــــــي

كأنّي عندها أشكو إليهـــــــــا

مصابي والحديث الـــــى الترابِ

وأن هذه العزلة التي لم تكن من اختياره إنما فرضها المجتمع عليه، وقد كان يشن العداء ضده ويخنقه بقوانينه وأنظمته ، هذا الذي جعله يختار العزلة ، إلا أن بعده لم

ينفعه بشيء فزاد عليه ألم الغربة والاعتزال وهذا ما نجده في قوله[11]:

ألا أيّها القاصد نحوي لتعلمـوا

بحالي وما أصبحت في الفقر اصنع

ألم تعلموا أن القطا قد ألفتـــــه

وأنّ هوس القفر حولي توقـــــع

يتبين لنا ان هناك عدة مسببات وراء العناء النفسي للشاعر ونتصور لنا من خلال النصوص الشعرية ، ولو نظرنا الى شعراء الغزل العذري بصورة أوضح من الجانب االنفسي فتكون هواجسهم ومخاوفهم مختلفة تجاه العنف النفسي الذي تسببه لهم مجموعة عوامل مترابطة، منها المجتمع والوشاة على أنواعهم والأهل كما ذكرنا، فنرى الشاعر يكره مجيء يوم الغد لفراقه مع الحبيبة[12]، فيقول جميل بثينة[13]:

يا عاذلي من الملام دعاني

إن البلية فوق ما تصفان

زعمت بثينة أن فرقتنا غدا

لا مرحبًا بغد فقد ابكانـــــي

فهنا الشاعر يشتد عنده التعب كما ذكرت ، فهو يصف الموقف كالموت حين يأتي موعد الفراق بينهما، مما جعله يتراءى له الموقف النفسي عند مجيء موعد الفراق، أما جميل فهو يشكي حتى نذير الشؤم(الغراب) الذي كأنما يؤذيه ليسمعه رحيل الحبيبة، كأنه يتقصد ذلك[14]، فيقول[15]:

رحل الخليط جمالهم بســـواد

وحدا على إثر الحبيبة حـــادِ

ما إن شعرت ولا علمت بينهم

حتى سمعت بهِ الغراب ينادي

وايضا يرمي العذري تعبه على الزمان الذي يفجعه بشدة المصائب، اذ يأخذ أقرب الأحبة وأعزهم، فهذا هو ديدن الزمان الذي يشن العنف النفسي ايضا على العاشق العذري، فالحزن والألم النفسي هما نتيجة العنف الذي سيطر على قلبه، فالزمان كما يراه العذريون قوة تدميرية جبارة لا يفق أمامها شيء مهما كان قويًا صامدًا[16]، فنجد قيس بن ذريح يرى كل أحزان الزمان رغم قساوتها هينة سوى مصيبة فراق الحبيبة، فيقول[17]:

وكلّ ملمّات الزمان وجدتها

سوى فرقَة الأحباب هيّنة الخطب

ونرى قيس بن الملوح يناديه وكأنه يعاتبه ماذا فعلت لك يا دهر لتشن العنف ضدي انت الآخر، فيقول[18]:

أيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى

وزدتُ على ما لم يكن بلغ الهجرُ

عجبتُ لسعي الدهرِ بيني وبينها

فلمّا انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

إن شدة الشوق عند الفراق كفيلة بأن تذيب القلوب وتصدع الأكباد، فيذهب معها الصبر والعزاء، وذلك لأن الهوى يعنف في لحظة الفراق، ويقسو حتى يذهب بجميل الصبر وحميد العزاء[19]، فنجد جميل يصف شدة الفراق على نفسه وقد فقد صبره وظهر جزعه لفراق حبيبته، فذاب قلبه من الهوى وفرط الحزن، فيصف عنف الدهر او الوقت او الزمن الذي أدى الى رحيل المحبوبة وفراقها، فيقول[20]:

كفى حزناً للمرءِ ما عاش أنّه

بين حبيب لا يزال يـــــــروعُ

فوا حزناً لو ينفع الحزن أهلهُ

ووا جزعا لو كان للنفسِ مجزعُ

وسنرى "إن الواشي والرقيب والعذول شخصيات لا يكاد يغيب وجهها في شعر العذريين، وقد أفاض عروة في الحديث وحورهم كأنهم شرطة موكلون بتعقب المحبين"[21] يسببون لهم الأذى والعنف النفسي.

وأكمل الدكتور عبد القادر القط بقوله: ليس غريبًا إذن أن تطالعنا وجوه الرقباء والوشيين الموكلين بتعقب هؤلاء المحبين في كثير من قصائد الشعر العذري ومقطوعاته، بعد أن كنا لا نصادفها إلا لماما في الشعر الجاهلي[22].

وقد أسرف العذريون في التذمر والشكوى من أذى وعنف هؤلاء الرقباء والوشاة والعذال بسبب التعب النفسي الذي الحقوه بهم حتى نجد نبرة تحدي لجميع هؤلاء في نتاج الشاعر العذري جميل، فيقول[23]:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا

سوى أن يقولوا أنني لكَ عاشقِ

وأما قيس بن الملوح فيصف العواذل أنهم كالبلاء لما سببوه له من مرض وعنف نفسي ، يقول[24]:

وعاذلة تقطعني ملامًا

وفي زجر العواذل لي بلاء

وايضا يقول [25]:

وكيف اطيع العاذلات وحبُّها

يؤرّقني والعاذلاتِ هيجوع

وأيضًا هناك صورة أخرى للعنف ضد المحب العذري وإشارة للمجتمع المحافظ وخصومة الشاعر له وهي ظاهرة العطش واشتهاء الماء، فالذي يطلع على هذا الشعر يجد الشعراء عطاشا تؤذيهم شدة العطش والماء امامهم وليس لديهم سبيل في الوصول إليه[26]، كقول كثير عزة[27]:

إني وإياك كالصادي رأى نهـــلاً

ودونه هوةً يخشى بها التلفـــا

التلف رأى بعينه ماءً عز موردهُ

وليس يملك دون الماء منصرفا

هناك "نرى بهذه الصورة كيف يبس ريقه من شدة العطش والماء على مقربة منه، لكن كيف سبيل الوصول اليه وهو يخشى على نفسه الهلاك، والتأويل هنا أنه كالهوة في المجتمع التي يخافها كثيرًا، وإن الماء يرمز للحبيبة، وأن الصورة توضح الذعر من الناس: [28].

وإذا كان كثير يرمز ولا يصرح فإن جميل بثينة يقرن الرمز بالتصريح، فيشير إشارة واضحة الى الأعداء الذين حالوا دونه ودون الماء، أو دونه ودون الحبيبة[29]، اذ يقول[30]:

وما صاديات ممن يومًا وليلـة

على الماءِ يخشين العصي حوانـــي

لواغب لا يصدرن عنه لوجهــه

ولا هنّ من بردِ الحياضِ دوانـــــي

فهو يشير الى الاعداء الذين ارهقوه وأرهقوا الحبيبة نفسيًا من المراقبة والمطاردة.

أما قيس بن الملوح بعد يأسه من تزويجه ليلى وشدة عنف القوم معه ومنعه من دول أرضهم وديارهم فيقول[31]:

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعـــت

روائع قلبي من هوى متشعّـــبِ

وقالوا صحيح ما به طيف جنــه

ولا الهم إلا بافتراء التكـــــــذبِ

وكان تعبه النفسي اكثر خوفًا وعنفًا اتجاهه لمّا رحلوا أهل ليلى بها أخذه والده مستترا حتى ينظر إليها وهي تذهب برفقة زوجها فلما رآهم أشهد بكاء وقال بصوت متقطع لشدة الألم الذي تعرض له فيقول[32]:

ألا أيّها القلب الذي لجّ هائمًـــا

بليلى وبعدًا لم تقطع تمائمـــــــهُ

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى

لك اليوم أن تلقى طبيبا تلائمهُ

وأزاد العنف النفسي ضد جميل بثينة ايضا عندما كانت بثينة تخشى لقائه خوف الاهل والواشي واللائم، غير نساء الحي اللاتي كنّ يزدنه التعب عليه ويخبرنه انها مشغوفة

بغيره، فقال[33]:

منيتني فلويت ما منيتنـــــــي

وجعلت عاجل ما وعدت كآجـــل

وتثاقلت لمّا رأت كلفي بهـــا

أحبب إليّ بذاك من متثاقـــــــلِ

وأطعت في عواذلاً فهجرتنـــي

وعصيت فيك وقد جهدن عواذلي

حاولتي لأبتّ حبا وصالكـــم

مني ولستُ وإن جهدن بفاعـــلِ

وانهمرت دموع جميل عندما فارق بثينة فقال باكيًا[34]:

ألا أيها البيت الذي حيل دونه

بنا أنت من بيت وأهلك من أهل

ثلاثة أبيات فيت أحبـــــــــهُ

وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي

فهو يصف العنف الذي وصل إليه وشدة الألم والعنف النفسي بسبب أهلها الذين حالوا دونها ودونه، فهو كالأسير لا يملك رأيًا على نفسه.

ويتبين عنف أهل الحبيبة النفسي عندما علموا برجوعه من الشام فشددوا على بثينة ليمنعوها من لقائه فقال[35]:

منع النوم شدة الاشتيـــــــاق

واذكار الحبيب بعد الفراق

ولقد قلت يوم نادى المنادي

مستحثًا برحلة وانطـــلاق

ولابد أن نوضح "إن للمحبين لغة يعرفونها ويفهمونها، لغة الحركات والاشارات والغمزات، فإن لم يكونوا أهل فطنة وذكاء ما عرفوا حل هذه الرموز"[36].

ونرى ذلك الشيء عند جميل بثينة عندما يستخدم الحيلة، اذ يتخفى اثناء الليل بملابس باع او انه يظهر بهيئة المتسول او المقرود ويطلب المال او العون لعله يحظى بلقاء الحبيبة فيقول[37]:

هل البائس المقرود رانٍ فمصطل

من النار أو محظى لحافاً فلابسِ

نرى كيف ان الشعراء العذريين بسبب عنف المجتمع وضغطه النفسي عليهم وعلى محبوباتهم يستخدمون الحيلة والدهاء لكي يحظوا برؤية بعضهم، فنجد فيس بن ذريح يرسل االرسل الى حبيبته ويغريهم بالمال في سبيل الوصول إليها، فذهب قيس لما طال مرضه بفراق لبنى الى امرأة اسمها –بريكة- يطلب الشفاء من حب لبنى وقبل ان ينزل وعدته ان حاجته مقضية، فنزل عندها وذكر حاجته وهي أن يرى لبنى، فاستجابت له ووعدته بذلك، فبقي عندها وأخفت أمره عن الناس وهنا تكمن حيلة الشاعر في مواجهة العنف، فرسم الخطة هو وبريكة التي تخذت تتردد على لبنى وزوجها ومعها الكثير من الهدايا حتى أخذا عليها ولاطفت زوج لبنى، فكانت فطنة ضريفة وحين اخذت خيط الأمل قالت لزوج لبنى، أخبرني أأنت أفضل من زوجي فقال لها: لا. أم لبنى أفضل مني . ايضا رد عليها بـ لا. فقالت له لماذا أزورها ولا تزرني؟ فقال ذلك عند لبنى، فأتتها وسألتها الزيارة، وذكرت لها ان قيسًا عندها، فوافقت لبنى والتقت بقيس بن ذريح واللقاء كان بكاء وشكوى[38] فهو يعكس ما تعرضا له من عنف وألم نفسي شديد فيقول[39]:

أعالج من نفسي بقايا حشاشة

على رمق والعائدات تعـــــودُ

فإن ذكرت لبنى هتشت لذكرها

كما هش للثدى الدورر وليد

أما جميل فيضحي بنفسه ويذهب الى اهل بثينة ليلاً لكي يراها ولا يأبه عنف أهلها وكان مودعاً فهوا ذاهب الى الشام قال وهو يبكي[40]:

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا

لنا منك رأي يا بثينة جميل

وما لم تطيحي كاشحًا أو تبدلي

بنا بدلاً أو كان منك أهول

تتجسد شجاعة وتضحية المحبين العذريين في مواجهة العنف في سبيل ارضاء المحبوبة، على الرغم من تعبهم النفسي والجسدي، فينشد قيس بن الملوح[41]:

وقد يبلى قوم ولاـــــــــــــي

ولا مثل جدي في الشقاء بكم جَدُّ

غزتني جنود الحب من كلِّ جانب

إذا حان مـــن جند قفولٌ أتى جُندُ

ويقول ايضا في تعبه النفسي[42]:

فوا الله ما في القرب لي منك راحةٌ

ولا البعد يسليني ولا أنا صابِرُ

ووالله ما أدري بأيّة حيلـــــــــةٍ

وأيّ مرامٍ أو خطار أخاطـــــــرُ

فهو يشير الى حظه العاثر، ذلك الحظ الذي تتنفشى فيه المآسي والآلام مع الحبيبة، فهو في أشد محنته ويخاطر في سبيل اللقاء بها، مع ذلك هو راضٍ بكل هذه المآسي في حبه لها على الرغم من كثرة الاعداء والرقباء الذين يتكاثرون من أجل محاربة هذا الحب.

وكثيراً ما كان المحب العذري يواسي نفسه بالصبر في سبيل تهديم الصعاب من كاشحين وسلفة ووشاة واهل المحبوبة وتحمل الأذى بأنواعه، فهم يمقتون الجـــــزع ويواسون النفس بالبكاء والصبر والتحمل، فيقول مجنون ليلى[43]:

الله يعلم أن النفس هالكـــــــة

باليأسِ منك ولكني اعنيهـــــــا

مَنّيْتُك النفس حتى قد أضرّ بها

واستيقنَتْ خُلُقًا ممّا أمنّيهـــــــا

إن العذريين تحل بهم ضروب من العذاب العنيف وتقسو الحياة عليهم، فتنكبهم بالرقباء والعيون والأعداء، ولكنهم مع ذلك يوفون بالعهد، اذ يبذل الوشاة الجهود الجبارة تارة مع الحبيب أو طوراً مع الحبيبة حتى يقضوا على هذا الحب، لكن المحبين لا يبالون ويوفون بالعهد من اجل عشقهم[44].

كما يذكر كثير عزة بقوله[45]:

فقلتُ لها يا عزّ كلّ مصيبـــة

اذا وطنت يوما لها الفتن ذلّت

أسيئي بنا أو حين لا ملومةً

لدينا ولا مقيلةً إن تقلـــــــت

أما جميل بثينة فينشد[46]:

إنّي عشيةً رحتُ وهي حزينة

تشكو إلى صبابةً لصبورِ

وتقول بت عندي فديتكَ ليلةً

أشكو إليك فإنّ ذاك يسير

فجميل ينعت نفسه بالصبور المتحمل للأذى عندما أخذ يشكو إليها عشقه وعذابه النفسي.

ونعود لقيس بن ذريح وحبه للبنى وما أصابه من شقاء نتيجة هذا العشق من هلاك ومرض وعذاب دائم وعنف نفسي ليس بعده عنف على الرغم من ذلك يصور لنا لونًا من الاخلاص لها فيقول[47]:

يقرُّ بعيني قُربها ويزيدنـــــــــــي

بها كلفا من كان عندي يعيبها

وكم قائل قد قال تب فعصيتـــــــهُ

وتلك لعمري توبةٌ لا أتوبهـــــا

ونلاحظ ايضاً "إن الشعراء يصفون الزمان بأنه شديد القسوة عليهم، اذ يصفون اللحظات التي فارقوا بها محبوباتهم حين رحلنا بأنها أقسى اللحظات، وأن من طبيعة العرب أنهم يقرنون المصائب بالزمن[48].

فالشاعر في أغلب الأحيان يوجه كلامه الى الزمن عادة بسبب رحيل الحبيبة، ذلك الكلام الذي وضح عن طريق مسايرته ورضوخه لأحداث الزمان القاهرة التي كادت ان تقضي عليه، ونجد الشعراء في أحايين كثيرة يذكرون ظروف الزمان الذي ترحل به الحبيبة(صباحا، ظهرا، ومساءً) وما تسببه لهم من أذى نفسي غير آبهين بما حصل لهم م ذوي المحبوبة ومن الوشاة، وبهذا يكون وقت الرحيل أشد الأوقات عنفاً من غيره، وهكذا يستمر الشقاء والعذاب على العذري[49].

ونجد هذا العذاب لدى كثير عزة، فهو يتألم في كلّ مرّة يودع فيها محبوبته عزة، فيقول[50]: فكل مازادت لحظات الفراق زاد الألم عليه.

تحمل في نجد الظهيرة بعدما

توقد من صحن السرير الصراع الموادع

ويقول[51]:

سأتك وقد أجد بها البكور

غداة البين من أسماء عِيرُ

ويصل الأذى بالشاعر العذري الى حد تمني الموت؛ لأنه سأم الحياة وجزع من مراقبة الأعداء، حتى اصبحت لديه الحياة بلا هدف ويوم بعد يوم يزيد عليه الأسى والعذاب النفسي، فيقول جميل[52]:

لقد ذرفت عيني وطال سفوحها

وأصبح من نفسي سقيمًا صحيحهـا

ألا ليتنا نحيا جميعًا وإن نمت

يجاور في الموتى ضريحي ضريحها

فما أنا في طول الحياة براغبِ

إذا قيل سوي عليها صفيحهـــــــا

يصور الشاعر هنا شدة وأسى رحيل للمحبوبة عليه ، ولأنه عاجز امام الوشاة والمجتمع والسلطة فأصبح الواقع الاجتماعي مزري في ذلك الحين، فيقول قيس بن ذريح[53]:

وفي اليأس للنفس المريضة راحة

إذا النفس رامت خطة لا تنالها

فهو يرى حتى اليأس منها سعادة وفرح لنفسه المعذبة من بعدها، والعاجزة عن قربها.

كذلك قيس بن الملوح الذي يتمسك بالأسى واليأس ولا يقدر على تحمل اكثر من ذلك الفراق والعذاب الذي اجهده واتعب نفسه فيقول[54]:

عرضت على قلبي العزاء فقال لي

من الآن فاجزع لا تمل من الصبرِ

إذا بان من تهوى وشطَّ بهِ النوى

ففرقه من تهوى أحرّ من الجمـــــرِ

أما كثير عزة فإن اكثر مقطوعة تشهد له بالعنف النفسي (خليلي هذا ربع عزة فاعقلا)، فهي تحكي ما تعرض له من بكاء وموجعات القلب والشتم...الخ، فيقول[55]:

خليلي هذا ربع عزة فاعـــــــلا

قلوحبكما ثم ابكيا حـــيث حلتِ

ومسا ترابا كان قد مسّ جلدهـــا

وبيتا مظلا حيث باتت وظلـــــتِ

ولا تيأس ان يمحو الله عنكمـــــا

ذنوبا إذا صليتما حيث صلـــتِ

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولـــتِ

فهنا يعبر كثير عزة عن شدة الأسى الذي تعرض له وحالة الفراق والهجر وما نتج عنها من أسى نفسي، ففي الأبيات الثلاث الاولى يذكر لصاحبيه هذا مكان عزة فيطلب منهما ان يجلسا في هذا المكان ويبقيا فيه ؛ لأنه مكان عزة ، وايضا يتجه الى البكاء والنحيب بسبب الحرمان منها وكأنه يحاكي قول قيس بن الملوح[56]:

أمرّ على الديارِ ديار ليلـــــى

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغلن قلبي

ولكن حبّ من سكن الديارا

ويكمل (ولا نيأسا أن يمحو الله عنكما ذنوبًا)، فإن لك عنده سببًا لغفران الذنوب بسبب حبه الشديد لها، وايضا يبين أن شدة الأسى والعنف دعاه الى شدة البكاء، ويذكر انه لايعرف معنى ألم العنف ولا عناءه حتى عرفها ، عرف تعب القلب ففي هذه الأبيات التالية اشتد عليه الأذى فهي وأهلها أذاهم كان واضح؛ لأنها هي من عزمت على الفراق بينما هو لم يكن بنيته ذلك، ويتبين عنفها في البيت الذي يقول فيه (وكانت لقطع الحبل بيني وبينها...) وكأنها كانت عازمة عندما يشتد حبهم تقابله بالعنف الشديد وتقطع كل حبال الوصل بينهما، ويستمر مواسيا نفسه والتصبر على الأذى(لكل مصيبة اذا وطنت) وكأنه يصبر نفسه على الأسى والأذى بهذه الكلمات بعد ان تعرض للعنف النفسي.

فـ "الغزل العذري غزل يعبر عن أسمى العواطف التي يفيض بها القلب الانساني، غزل تحس فيه لذع الحرمان، وان الرجل يتهيب الاقتراب من المرأة، فهي كائن ملائكي تحول قدسيته دون لمسه وحتى هي أوصلته، فلا يزال يستشعر شعورًا عميقًا بالألم واليأس، بل يقتضي به حبه الى فقدان العقل أو الموت"[57]، فيوضح لنا قيس بن ذريح بقاء الأرواح متصلة بعد الموت على الرغم من موت الأجساد فيقول[58]:

لئن ظعن الأحبابُ يا أمَّ مالكٍ

فما ظعن الحب الذي في فؤاديا

أما كثير عزة فيقول[59]:

لا تغدرن بوصل عزة بعدما

أخذت عليك مواثقا وعهـــــــودا

إنّ المحبَّ إذا أحب حبيبـــــه

صدق الصفاء وانجز الموعودا

الله يعلم لو أردت زيـــــادة

في حب عزة ما وجدت مزيـــدا

فهنا يتبين مدى عشقه لعزة، وانه معذور حين نراه يذرف الدموع ويبكي ويرى كل مصيبات الزمان وما يجري لروحه المتعبة فداء لها.

أما جميل فيحدثنا عن عنف العواذل وكيف بثينة مشغوفة بحب غيره على حسب كلام نساء حيّه فقمن بلومه وتقريعه ويكرّهن بثينة إليه، وكيف ينتظر اللقاء طول الليل لكن يرجع خائباً، فعلى الرغم من كل هذه العوائق من كل جانب وكلام العواذل الذي لا يصدقه فهو مصر على هواه لها ويزداد يوما بعد يوم فيقول[60]:

ويقلن إنّكِ قد رضيت بباطــلٍ

منها فهل لكِ في اعتزالِ الباطــلِ

ولباطلٍ ممن أحبّ حديثـــــهُ

أشهى إليّ من البغيضِ البـــاذلِ

ونراه يرضى حتى بحنفها اتجاهه وتثاقها، ويذكر أنها بخيلة ويعجبه هذا البخل والتمنع اتجاهه، فهو يريد أن يغيظ العواذل ليرضي حبيبته فيقول[61]:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلمـــا

على عذبةِ الأنياب طيبة النـــــشر

وبوحا بذكري عند بثينة وانظــرا

أترتاح يومًا أم تهش الى ذكـــري

فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا

ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهرِ

وإن تك قد حالت عن العهد بعدنا

وأصغت الى قول المؤنب المـــزري

فهو قابل وقانع بالقليل من قربها وودها، فالقرب غاية بعيدة بالنسبة له لا يحظى بها من كان عشقه شديد وكثير.

فالعذريين صوروا لنا مدى عذابهم ولوعتهم جراء العنف الذي تعرضوا له حتى أن العرافين والأطباء عجزوا عن شفائهم.

ويستمر عنف المجتمع بصورة مبطنة والحرمان وغبعاد المحبين عن بعضهم عن طريق الرقباء، فالرقابة هي جزء من منظومة القهر الاجتماعي؛ ولذا كانت الرقابة ظاهرة مركزية في الشعر العذري وشكلاً فنيًا عبر الشاعر بوساطته عن تضاده مع القسر الاجتماعي[62] الذي نراه قد أصر على العذري وفرض قيودًا اجتماعية الى كسرها والانحراف عن خطها، وتقريع هذا الكبت المجتمعي شعريًا، يحمل في طياته الحرمان من التحرك بحرية والتعبير عن مشاعره من دون رقيب، فالوشاة والرقباء والعذال هم رموز للمجتمع المتمثل بالعادات والتقاليد الصارمة وأعرافه، اذ أسرف العذريون في شكواهم من هؤلاء الرقباء والوشاة، فأصوات العذال تكاد تصم الآذان ووجوه الرقباء لا تكاد تخطئها العين في هذا الشعر في ظل أحوالهم ووطأتهم بالمجتمع الصارم في البادية[63].

وأن أفعال الرقباء والوشاة يفرضها المجتمع وقيمه الاجتماعية بصورة واضحة أو مخفية، ونجد ذلك عند كثير عزة في قوله[64]:

وخبرها الواشون أني صرمتها

وحملها غيظًا عليَّ المحملِ

وإنّ لمنقاد لها اليوم بالرضى

ومعتذر من سخطها متنصلِ

فالمجتمع او القبيلة التي تقيم الحواجز والسدود بين الشاعر ومحبوبته سواء كانوا وشاة او عذال أو لائمين يغتنمون الفرص دون لقائهم وجمع شملهم؛ ولذلك نجد الخصومة مشتعلة بين من يتشبث بمحبوبته وقبيلتها تصل الى اهدار دمه بعد الاستعانة بالسلطة[65].

الخاتمة

إنّ المعاناة والألم الدفينين اللذان كان يشعر بهما شعراء الغزل العذري، وهما اللذان أوحيا اليهما بكتابة اعذب الأشعار وأرقها، إذ لا شيء كالألم يطهر النفوس من الشوائب العالقة بها ويعيد الى القلوب المعذبة الهرمة سعادتها وشبابها، وعلى هذا نرى أن الشاعر العذري بسبب العنف الذي تعرض له توجه الى عالم يخلقه بعالمه الشعري، عالم بعيد عن المجتمع والقبيلة والوشاة واللائمين الذين لم يستطع الانخراط معهم فهم وفقوا حاجزاً بينه وبين أي تواصل مع حبيبته.

فاستطاع العذريون تحويل مشاعرهم الى أعمال فنية رائعة، وأنهم أبدعوا في هذا الفن الشعري؛ لأنهم كانوا على وعي تام بعنفهم وصراعهم الذي أدى الى انتاج هذا الفن الجميل فنجح واستقام ما نسميه بالشعر العذري من قبل هؤلاء الشعراء العذريين.

(1) ينظر: الباعث الاجتماعي في شعري كثير عزة والعباس بن الاخنف(دراسة موازنة)، أ. د. ياسر علي عبد، رؤى سمير سالم، كلية الاداب، جامعة القادسية، المجلد 25، العدد 2، 2022 : 82.

(2) ينظر: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبد القادر، دار الزعراء للنشر والتوزيع، ط3، 2005 : 55.

(3) سوسيولوجية العنف مدخل الى سايكولوجي الانسان المقهور، خليل احمد، مجلة الفكر المعاصر، العدد 23 : 19.

(4) ينظر: الأغاني: 24/292-293.

(5) ينظر: الأغاني: 24/290؛ وينظر: تزيين الاسواق: 1/134-136؛ الامالي للقالي: 3/158.

(6) ينظر: الغزل العذري حتى نهاية العصر الاموي اصوله وبواعثه وبنية، كريم قاسم جابر الربيعي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة البصرة:

(7) ديوان قيس بن الملوح : 146.

(8) ديوان جميل بثينة: 202.
(9) المصدر نفسه: 102
(10) ديوان قيس بن الملوح: 74.
(11)ديوان قيس بن الملوح: 187.
(12) ينظر: الوداع عند شعراء الغزل في العصر الاموي(دراسة موضوعية فنية)، رسالة ماجستير: 13.
(13)ديوان جميل : 110.
(14) ينظر: الوداع عند شعراء الغزل في العصر الاموي: رسالة ماجستير:
(15)ديوان جميل بثينة : 91.
(16) ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت-لبنان، ط2، 1980، ط3، 1983، ط4، 1985: 360.
(17) شرح ديوان قيس بن ذريح: 25.
(18) ديوان قيس بن الملوح :
(19) ينظر: مدامع العشاق : 1
(20) ديوان جميل: 23
(21) في الشعر الاسلامي والاموي : 320
(22) ينظر: المصدر نفسه : 84.
(23) ديوان جميل: 143.
(24) ديوان قيس بن الملوح : 42.
(25) المصدر نفسه : 192.
(26) ينظر: المرأة في الشعر الأموي: 139.
(27) ديوان كثير عزة: 45
(28) ينظر: المرأة في الشعر الاموي: 139.
(29) المصدر والصفحة نفسهما.
(30) ديوان جميل بثينة: 205.
(31) ديوان قيس بن الملوح : 80.
(32) المصدر نفسه : 82
(33) ديوان جميل بثينة : 54-55
(34) المصدر نفسه : 37.
(35) المصدر نفسه: 79.
(36) ينظر : الغزل عند العرب، حسان ابو رحاب ، ط1، القاهرة، 1316ه-1947م: 98.
(37) ديوان جميل بثينة: 115.
(38) ينظر : الغزل عند العرب، حسان ابو رحاب : 98.
(39) ديوان قيس بن ذريح: 39.
(40) ديوان جميل بثينة: 51.
(41) قيس بن الملوح: 83
(42) المصدر نفسه: 89
(43) قيس بن الملوح: 17
(44) ينظر: الغزل عند العرب، حسان ابو رحاب: 137.
(45) ديوان كثير عزة: 55-57.
(46) ديوان جميل بثينة: 97.
(47) ديوان قيس بن ذريح: 23.
(48) ينظر: الزمان في الشعر الجاهلي: 63.
(49) ينظر: الوداع عند شعراء الغزل العذري: 18.
(50) ديوان كثير عزة : 100.
(51) ديوان كثير عزة:153

(52) ديوان جميل بثينة: 67
(53) ديوان قيس بن ذريح: 65.
(54) ديوان قيس بن الملوح : 33.
(55) ديوان كثير عزة : 27
(56) ديوان قيس بن الملوح : 35
(57) ينظر: الحب العذري عند العرب، شوقي ضيف ، ط1، الدار المصرية،: 20-21.
(58) ديوان قيس بن ذريح: 126.
(59) المصدر نفسه: 130
(60) ديوان جميل بثينة : 180.
(61) المصدر نفسه : 102-104.
(62) ينظر: الغزل العذري دراسة في نشوء الحب المقموع ومقارنة بالشعر الرومانسي في الادب العربي : 51.
(63) ينظر: دراسة المرأة في الشعر الاموي: 135-136.
(64) ديوان كثير عزة : 254.
(65) ينظر: التطور والتجديد، شوقي ضيف : 5 ؛ ينظر: الشعر الاسلامي والاموي، عبد القادر القط : 82؛ ينظر: تاريخ الشعر العربي، يوسف حليف : 72.

المصادر

- الأغاني، ابي الفرج الاصفهاني(ت356ه) ، تحقيق: احسان عباس، دار بيروت صادر، ط2، 2005، ط3، 2008، بيروت- لبنان.
- الامالي في الادب الاسلامي، د. ابتسام مرهون الصفار، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 1432ه-2011م
- الباعث الاجتماعي في شعري كثير عزة والعباس بن الاخنف(دراسة موازنة)، أ. د. ياسر علي عبد، رؤى سمير سالم، كلية الآداب، جامعة القادسية، المجلد 25، العدد 2، 2022
- تزيين الاسواق، الشيخ داود الانطاكي، المطبعة الازهرية المصرية، ط2، مصر، 1319ه.
- التطور والتجديد في الشعر الأموي , د. شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف، ط8، 1919 ، كورنيش النيل القاهرة – ج . م. ع
- الحب العذري عند العرب، شوقي ضيف ، ط1، الدار المصرية، د.ت.
- ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1402ه، 1982.
- ديوان قيس بن الملوح ، (رواية أبي بكر الوالي)، دراسة وتعاليق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 1999م.
- ديوان قيس بن ذريح، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط2، بيروت- لبنان، 2004م.
- ديوان كثير عزة، د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1971م.
- سوسيولوجية العنف مدخل الى سايكولوجي الانسان المقهور، خليل احمد، مجلة الفكر المعاصر، العدد 23
- الشعر الاسلامي والاموي، د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
- الغزل العذري حتى نهاية العصر الاموي اصوله وبواعثه وبنية، كريم قاسم جابر الربيعي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة البصرة:
- الغزل عند العرب، حسان ابو رحاب ، ط1، القاهرة، 1316ه-1947م
- مدامع العشاق ، زكي مبارك، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت.
- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت- لبنان، ط2، 1980، ط3، ط4، 1983
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبد القادر، دار الزعراء للنشر والتوزيع، ط3، 2005
- الوداع عند شعراء الغزل في العصر الاموي(دراسة موضوعية فنية)، رسالة ماجستير